الجيش الحفصي تركيبته الاجتماعية وقيادته العسكرية (603هـ/932هـ).

د. سالم أبوالقاسم محمد غومة

كلية الآداب والعلوم بدر، جامعة الزنتان

المستخلص:

يتناول البحث دراسة الجيش الحفصي من خلال تركيبته الاجتماعية وقيادته العسكرية، فبدراسة نواته تبين أنه يرجع في تكوينه إلى دولة الموحدين، هذه الدولة التي كانت تسيطر على إفريقية والمغرب الإسلامي، بشطريه الأوسط والأقصى، وكان لها قوات في تلك الأقاليم. وفي أواخر أيامها وعندما بدأ نفوذها يتقلص خشيت من ضياع أملاكها في إفريقية، فكلفت أحد رجالها والذي يرجع في نسبه إلى بني حفص، وقامت بتجهيزه بجيش للحفاظ على تلك البلاد، هذا الجيش الذي كان يشتمل على خليط من العناصر المقاتلة، أصبح يشكل النواة الأولى لجيش الدولة الناشئة وهي الدولة الحفصية، هذه الورثة الموحدية نتج عنها تنوع في التركيبة الاجتماعية، وما كان على الحفصيين الا رعاية هذه النواة وتطويرها، مما أسهم في بنائهم لجيش ضخم تميز بتنوع عناصره قيادته العسكرية ، هذا التنوع الذي لم يكن حكرا على فئة معينة، وذلك لأن المبدأ الأساسي له هو الولاء للدولة لا للقبيلة، فمن يكن سعيه لذلك ينال الثقة والقيادة وعكس ذلك كان مصيره الإقصاء أو الموت.

الكلمات المفتاحية: الحفصية، الجيش، إفريقية، العسكرية.

المقدمة

مهما انطوت الدول على نفسها سيأتي يوم وتجد نفسها تتفاعل مع غيرها من الدول وتتبادل المصالح في شتى المجالات، بل تجد نفسها فاتحة أبوابها أمام عناصر سكانية جديدة للاستقرار بها، ودافع ذلك المصلحة، وهذا ما شهدته دول المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ومنها الدولة الحفصية، فهذه الدولة ولدت من رحم دولة الموحدين، ولهذا حملت في داخلها جملة من الصفات لتلك الدولة، ومن هذه الصفات تنوع تركيبة الجيش الاجتماعية وقيادته، فالجيش الحفصي لم يكن يختلف كثيرا عما كان موجود بدولة الموحدين، وخاصة في تركيبة العناصر المكونة له، وهذا الموضوع الذي نحن بصدد الكتابة عنه والموسوم بعنوان (الجيش الحفصي تركيبته الاجتماعية وقيادته العسكرية) يعكس التأثير الموحدي، كما انه يعكس سياسة سلاطين الدولة الحفصية في احتواء العناصر غير المنتمية لهم.

إشكالية الدراسة

تكمن إشكالية الدراسة في محاولة الوقوف على النواة الأساسية المكونة للجيش الحفصي، وما هي التركيبة الاجتماعية لهذا الجيش؟ وماهي مكونات القيادة العسكرية له، وأبرز مهامها؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في كونها تركز على عنصرين مهمين داخل الجيش الحفصي، وهما التركيبة الاجتماعية والقيادة العسكرية، فمن خلالهما يمكن الوقوف على بدايات تكوين الجيش الحفصي، والعناصر التي شكلت بنيته وأصولها، وقيادة الجيش وانتماءاتها، وبالطبع كل ذلك يعكس لنا بداية بناء الجيش الحفصي، والسياسة الحفصية مع عناصر المجتمع المختلفة، فبدراسة التركيبة الاجتماعية للجيش وقيادته العسكرية من المؤكد أن ذلك سيكون قادرا على إضاءة جانب مهم في تاريخ الجيش الحفصي.

أهداف الدراسة

1. دراسة نواة تكوين الجيش الحفصي.
2. الوقوف على التركيبة الاجتماعية للجيش الحفصي وعناصرها.
3. الوقوف على القيادة العسكرية للجيش الحفصي وتقسيماتها

منهج الدراسة

استخدم في هذه الدراسة منهج البحث التاريخي القائمة على تفحص المصادر والمراجع وتجميع المعلومات منها ومن ثما القيام بتحليلها واستنباط المعلومات منها بما يفيد موضوع البحث.

المبحث الأول: نواة جيش

ورثت الدولة الحفصية بمركز قيامها بتونس بإفريقية جيش جاهز، وكان ذلك منذ سنة 603هـ، هذا الجيش الذي ترجع أصول بنائه الى دولة الموحدين، هذه الدولة التي اصبح خلفاؤها عاجزون عن إدارة شؤون الأقاليم البعيدة عن مراكش مباشرة، ولهذا اسندوا مهمة إدارة إقليم إفريقية الى أحد رجالهم الثقات وهو الشيخ أبو محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص(603هـ/618هـ) وذلك بناء على تكليف رسمي من الخليفة الموحدي الناصر، والذي حثه فيه على الوقوف ضد أطماع بني غانية بتونس، ومن هنا لم يجد ذلك الشيخ صعوبة في تجهيز قوته العسكرية، وذلك لوجود جيش موحدي بها، وبالتالي ما كان عليه إلا قيادته(ابن قنفذ، 1968: ص105.).

ومن هنا كان ذلك الجيش هو النواة الأولى التي تأسس منها الجيش الحفصي، وبالتالي التركيبة الاجتماعية له هي نفسها التي كانت زمن دولة الموحدين، فمن اول لقاء حربي للأمير المكلف مع بني غانية اتضحت ملامح عناصر الجيش الحفصي، فلقد كانت العناصر العربية والموحدية حاضرة وبقوة في هذا اللقاء (ابن خلدون، 2000: ص373. 374. 384).

كان الجيش في تلك الفترة المبكرة بإفريقية يتم تجهيزه بناء على ما يرسل من قبل الموحدين بمراكش، سواء كانت خيول أو اموال وكسى واسلحة، هذه الأسلحة التي كانت السيوف على رأسها(ابن خلدون، 2000: ص374).

وفي زمن أبو زكريا يحي بن عبدالواحد (625هـ/647هـ) والذي يعتبر اول امير حفصي استقل بتونس على الموحدين بالمغرب نجده في بداية امره عندما توجه الى تونس بناء على أوامر من الخليفة العادل المنصور الموحدي سنة 618هـ، كان في صحبته جيش موحدي بلغ تعداده سبعين ألفا من الفرسان الأقوياء(ابن الشماع، 1984: ص57).

وفي سنة 635هـ أصبح الحفصيون يمتلكون تجهيزات عسكرية بإمكانهم تقديم المساعدة لمن يستنجد بهم، وتعتبر هذه السنة مبكرة في تاريخ الدولة الحفصية، مما يشير الى ان تلك الإمكانيات هي في الحقيقة موحدية المصدر ورثها الحفصيون. ففي هذه

السنة اتصل زيان بن مردنيش حاكم بلنسية وبعض ملوك شرق الاندلس يناشدون السلطان الحفصي بتقديم المساعدة والنجدة لهم، وكانت هذه المناشدة متمثلة في قصيدة طويلة أرسلت مع ابن الابار وقام بإنشادها في حضرة السلطان، وبالفعل امدهم بالطعام والأموال والأسلحة (ابن خلدون، 2000: ص385 وما بعدها).

المبحث الثاني: التركيبة الاجتماعية للجيش:

إن تركيبة الجيش الاجتماعية من المؤكد أنها نتاج أو انعكاس لتركيبة المجتمع الحفصي، فلقد عرفت الدولة الحفصية باحتوائها الى العديد من الفئات او العناصر والتي جاءت اليها نتيجة للتهجير أو الارتزاق.

يدخل ضمن تركيبة المجتمع القبائل المغربية بما فيها العناصر الموحدية والحفصية، وكذلك القبائل العربية والاندلسيين والصقالبة والنصاري (المسعودي، 2000م: ص 134 - ص143).

اغلب العناصر سابقة الذكر شكلت تركيبة الجيش الحفصي. وهناك من يرجح سبب تدعيم سلاطين الدولة الحفصية لتنوع عناصر جيشهم هو لدواعي أمنية فهذا التنوع لا يسمح لتلك العناصر المتنوعة من توحيد كلمتها وتشكيل معارضة ضد السلطان (عامر، 1972م: ص37). ولكن ربما هذا التنوع قد فرض نفسه فكل تلك العناصر التي استقرت بالمجتمع الحفصي كانت لها مصالح متبادلة مع سلاطين الدولة الحفصية، ففي هذا المعادلة هناك طرفان، الطرف الأول الحفصيون فإنهم يريدون قوة لحماية دولتهم والطرف الثاني عناصر تبحث عن الارتزاق او كسب النفوذ. وبالتالي ظهر تآلف بين الطرفين مما أسهم في تنوع الجيش.

بمرور الوقت زادت مكانة تلك العناصر وأصبح لها دور في الشؤون السياسية للدولة الحفصية من بيعة السلطان الحفصي (ابن خلدون، 2000: ص517) إلي الإطاحة به عندما يكون غير مرغوب فيه، فعندما زحف الأمير أبو العباس أحمد (747هـ) على تونس بسبب تولى أخيه السلطان ابى حفص عمر (747هـ) الحكم، وفى هذه الاثناء وعندما شعرت العساكر بضعف جانب ابى حفص سرعان ما خذلته في التصدي لأخيه ابى العباس بل انضمت الى الأخير، رغم انه في نهاية المطاف كانت الغلبة للسلطان أبو حفص(ابن خلدون، 2000: ص518).

وفيما يلي سنحاول دراسة كل عنصر من التركيبة الاجتماعية للجيش الحفصي:

1. عناصر الموحدين

وهم يعتبرون من مؤسسي الجيش الحفصي، وهم ينتمون الى دولة المهدى بن تومرت (العمري، 2010م، ج4: ص79) وذلك كما جاء عند العمري ويقصد هنا دولة الموحدين. وبالطبع هذه العناصر ترجع في أصولها الى قبائل المغرب ومن المرجح أنها كانت عناصر نظامية داخل الجيش.

وبخصوص هذه العناصر لو رجعنا الى سنة 603هـ وهي السنة التي بدأ فيها أمر الحفصيين بإفريقية بزعامة أبو محمد عبد الواحد بن ابي حفص المكلف من قبل الموحدين بالمغرب الأقصى، نلاحظ تركيبة الجيش الذي كان يقوده تتكون من عناصر موحدية، وكان ذلك واضح في أول مواجهة عسكرية له ضد أطماع بني غانية (ابن خلدون، 2000: ص373. 374)، فالموحدون هم من نصبوا أبي محمد على إفريقية بغرض صد خطر بنى غانية ولهذا من الواجب عليهم تزويده بعناصر من الموحدين للقتال معه.

وخلال حديثه عن الحصار الحفصي لتلمسان سنة 640 هـ يقول الزركشي: " افتتحت جيوش الموحدين تلمسان"(الزركشي، 1966م: ص29) وهذا إشارة الى ان العناصر الموحدية لازالت تشكل جزء كبير من تركيبة الجيش الحفصي.

نلاحظ ان عناصر الموحدين لم تكن فرق متطوعة بل كانت فرق نظامية مسجلة في ديوان الجند، والدليل على ذلك أن بعض المؤرخين عند الحديث عن العمليات العسكرية الحفصية وخاصة زمن أبو زكريا نجد عندهم مصطلح عساكر الموحدين اما العناصر الأخرى يقال عنها حشود (ابن خلدون، 2000: ص391). ونظرا لان مجيء الحفصيين كان بصورة شرعية وبأوامر من الحاكم الموحدي فان هذه العناصر أصبحت تقاتل الى جانب السلطان الحفصي وكأنها تحت راية الموحدين. وبالرجوع إلى مصطلح (حشود) فمن المرجح انه أطلق على العناصر غير النظامية التي قاتلت الى جانب السلطان الحفصي لأغراض خاصة بها او تحقيق مصالحها كزناتة التي قاتلت من اجل الإطاحة ببنى عبد الواد بتلمسان.

2. القبائل العربية

تمثل القبائل العربية نسبة كبيرة داخل الجيش الحفصي، ولهم نفوذ كبير داخل الدولة الحفصية فهم يستقطعون أراضي زراعية من الدولة تكون خاصة بهم بهدف الاستفادة منها، ومقابل ذلك كل ما احتاج إليهم السلطان الحفصي يقوم باستدعائهم وذلك للمشاركة في حروبه (العمري، 2010م: ص77)، وهنا يمكن أن نستنتج أنهم كانوا يشكلون عناصر

متطوعة وليست نظامية فكل ما أغدق عليهم السلطان كانوا رهن اشارته، وبمجرد ان ينزع منهم اقطاعاتهم ينفضوا من حوله.

يقول برنشفيك عن مساهمة القبائل العربية في الاعمال العسكرية الحفصية أن لهم مساهمة أكثر من تلك التي نؤديها قبائل المغرب وينبغي وضعها في المقام الأول من حيث العدد ومن حيث القيمة الفعالة (برنشفيك، 1988م: ص78).

لقد ساهمت قبائل العرب في حروب الحفصيين منذ سنة 603هـ، حيث اشتمل الجيش على عناصر عربية، فبفضل مساندتهم تمكن الأمير أبو محمد الحفصي -المكلف من الموحدين بإدارة إفريقية - تمكن من هزيمة بنى غانية (ابن خلدون، 2000: ص373. 374). وتعد قبائل دباب من بنى سليم من أولى القبائل العربية المساهمة في حروب الجيش الحفصي كعناصر متطوعة (ابن خلدون، 2000: ص384). كما أن قبائل أولاد مهلهل وطائفة من الاعشاش كانت لهم مساهمات حربية داخل الجيش الحفصي في زمن السلطان ابى بكر الشهيد وتحديدا سنة 709 هـ (الزركشي، 1966م: ص59).

كما شكلت قبائل العرب جزء من الجيش الذي قام بعمليات عسكرية تجاه القيروان الى قابس والتي كان يسيطر عليها ابن مكي زمن السلطان أبو العباس احمد، بل وبمجرد وصوله الى قابس أنظم الي جيشه مشيخة ذباب من بنى سليم من عرب قابس وقبائل المحاميد بقيادة شيخهم خالد بن سباع بن يعقوب، وبالطبع كل هؤلاء يحثونه على دخول قابس والتي دخلها بالفعل بعد خروج حاكمها عبد الملك بن مكي معلنا طاعته للسلطان الحفصي (الزركشي، 1966م: ص110).

وكذلك نجد قبائل عرب الحنانشة وقرفة وحكيم وعلي تشكل جزء من القوات التي ساندت جيش السلطان أبو عمرو عثمان بن محمد ضد قبائل الذواودة وحليفهم أبو الحسن امير بجاية (الزركشي، 1966م: ص138).

لم تكن القبائل العربية عناصر قتالية نظامية يحكمها قانون عسكري، ولهذا كان السلطان الحفصي في كثير من الأحيان يستخدم الحيلة القائمة على إعطاء المنح لكي تقف الى جانب قواته (ابن خلدون، 2000: ص391).

3. العناصر الاندلسية

دخلت هذه العناصر الى الدولة الحفصية من خلال الهجرات، حيث عرفت الاندلس أوضاع غير مستقرة أدت الى هجرتهم، ولقد كانت هذه الهجرات على مراحل فمنها ما

كان في نهاية القرن السادس الهجري الى بدايات القرن السابع الهجري، ومنها التي امتدت من القرن السابع الهجري الى سقوط غرناطة سنة897هـ (العيد، 2019: ص3).

أنظم عدد كبير من الأندلسيين للجيش الحفصي، وأصبحت لهم فرق نظامية داخله، وكان اغلبها من فئة الفرسان وكانت تجيد الرماية بالسهام والرماح، ولهذا سميت في المصادر التاريخية باسم الفرسان الرماة (الزركشي، 1966م: ص65).

كانت اعداد من العناصر الاندلسية تساهم في المرابطة على المناطق الثغورية، ولقد وصل عدد العناصر المرابطة عند نواحي رباط رادس الى 4000 جندي، حيث يشكلون كتيبة، وكان تخصصهم العسكري هي الرماية بالرماح والسهام، وكان ذلك في سنة 668هـ هذه السنة التي توافق هجوم الحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع وذلك عندما كان السلطان المستنصر حاكما للدولة الحفصية (ابن خلدون، 2000: ص427). (العيد، 2019: ص62) وبالطبع هذا يعكس مدى الأهمية العسكرية لهذه العناصر ومدى اعتماد سلاطين الدولة الحفصية عليها.

4. العناصر المغربية

ساهمت القبائل المغربية في تشكيل الجيش الحفصي، ومن أبرزها قبائل مغراوة التي كانت أحد العناصر المكونة لجيش السلطان الحفصي ابي إسحاق إبراهيم وذلك سنة 769هـ (الزركشي، 1966م: ص103).

وكذلك قبيلة هوارة ساهمت في تشكيل الجيش الحفصي، وانضمامها اليه جاء بناء على دعوة من سلاطين الدولة بداية بالسلطان أبو زكريا، كما كانت القبائل المغربية القاطنة بالقرب من مدينة قسنطينة لها دور في بناء الجيش، ومنها قبائل سدويكش وولهاصة (برنشفيك، 1988م: ص76).

لقد كانت قبائل زناتة من ضمن العناصر الحربية التي اعتمد عليها الجيش الحفصي (ابن خلدون، 2000: ص391). وهي تعتبر معارضة لحكم بنى عبدالواد بتلمسان ولهذا السبب وقفت الى جانب الحفصيين، وكذلك انضمت قبائل بنو توجين الى الجيش الحفصي زمن السلطان أبو زكريا والمستنصر، ولقد كان لهذه القبائل دور في صد الحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع سنة 668هـ (برنشفيك، 1988م: ص77).

5. عناصر النصارى

يقول الوزان أن ملك تونس يمتلك تقريبا ألف وخمسمائة جندي نصراني، وهؤلاء الجند اغلبهم من الموالي الذين اعتنقوا الإسلام، ولكل واحد من هؤلاء مرتب له ولفرسه نظير ما يقدمونه من خدمات عسكرية (الوزان، 1983: ص80)، ويقول برنشفيك عن هؤلاء الموالي العسكريين: " هناك عنصر عتيد ... وهو يتكون من عدد مرتفع من النصارى المعتنقين للإسلام، والذين هم في معظمهم من قدماء الرقيق المعتقين" (برنشفيك، 1988: ص85). ويقول العمري أنه حوالي ألف فارس من المماليك الأتراك كان قد تم شرائهم من مصر في زمن الدولة الحفصية (العمري، 2010م: ص79)، حيث أصبح يشكلون جزء من قوتهم العسكرية.

لقد كان الجيش الحفصي مزودا بفرق من النصارى، واضافة الى تشكيلهم عنصر قتالي داخل الجيش كذلك كانت توكل إليهم بعض المهام المتعلقة بالقبض على المعارضين، فعندما قرر أبو فارس اخ السلطان ابى بكر الثورة على أخيه وذلك سنة 727هـ، علم السلطان بمكان أخيه بأحد احياء العرب، فأرسل إليه فرق عسكرية للقبض عليه كان من ضمنهم عناصر من النصارى (ابن خلدون، 2000: ص495).

المبحث الثالث: القيادة العسكرية

مثلما كانت عناصر الجيش متنوعة اجتماعيا فكذلك الحال بالنسبة للقيادة داخله فهي كانت متنوعة ولم تنحصر في فئة معينة وسنحاول هنا بيان ذلك التنوع ومواطنه في النقاط التالية وهي:

1. أشياخ الموحدين

عرفت هذه التسمية منذ زمن الدولة الموحدية، هذه الدولة التي قامت على انقاضها عدة دول منها الدولة الحفصية، ولقد كان لهؤلاء الاشياخ مكانة رفيعة زمن دولة الموحدين، واستمرت الى ظهور دولة الحفصيين، فهؤلاء الاشياخ حقيقة لم ينفصلوا عن الدولة الحفصية فهم يعتبرونها امتداد لدولتهم، ونظرا لخبرتهم في القيادة فلم يبخلوا على سلاطين الدولة الحفصية بمدهم بتلك الخبرات، والتي تعد أهمها قيادة الجيش، كما أننا نلاحظ أن الحفصيين لم يستعينوا بهؤلاء الاشياخ الا في الأمور المهمة والتي تهدد أمن الدولة، فعندما تولى أحمد بن مرزوق بن عمارة الملقب بالدعى (681هـ/683هـ) الحكم بالدولة الحفصية، كانت البلاد تمر بفترة عصيبة تسبب فيها الفساد الذي ألحقته قبائل العرب بتونس، وبالتالي ما كان عليه الا تنصيب احد اشياخ الموحدين وهو ابى محمد

عبد الحق بن تافراجين على قيادة جيوشه للقضاء على هذه القبائل، حيث امرهم بقتل كل من يظفر به من العرب (الزركشي، 1966م: ص47).

وكذلك نجد في سنة 706هـ سيطرة النصارى على جزيرة جربة والتي كانت بالطبع على البحر، وكانت دائما مهددة. إن عملية طرد هؤلاء النصارى منها يتطلب قيادة حكيمة وذات حنكة، ولهذا تولى شيخ الموحدين أبو يحيى زكرياء بن احمد اللحياني قيادة الجيش الحفصي وكان ذلك في زمن السلطان أبو عبدالله محمد الملقب بابي عصيدة (694هـ/709هـ)، وزحف اليها اللحياني بهدف تخليصها منهم (الزركشي، 1966م: ص56).

وفي سنة 709 هـ وهي السنة التي توفي فيها السلطان أبو عصيدة وبويع الأمير أبى بكر بن يحيى الملقب بالشهيد، حاول الأمير أبو البقاء خالد إفساد البيعة بتحريك جيشه الى تونس، ونظرا لان الشهيد يدعمه أشياخ الموحدين وعلى راسهم الشيخ محمد بن يرزكين، فأنهم اشرفوا على تجهيز جيش لصد ابى البقاء خالد ونصبوا عليه القائد الشيخ أبى يعقوب بقيادة الجيش الحفصي لقتال الأمير أبى البقاء خالد، رغم محاولة أبي بكر الشهيد قيادة هذا الجيش بنفسه، الا أنه بسبب الخوف عليه تم ثنيه عن قراره ومبادرة الشيخ أبو يعقوب بالقيادة(الزركشي، 1966م: ص56- 59).

2. الموالي

يشتمل الموالي على عدة عناصر ساهمت في قيادة الجيش الحفصي، فلقد كان منهم المماليك الاتراك الذين تم شرائهم من مصر (العمري، 2010م: ص79)، وكذلك نجد الاكراد كعنصر دخل الجيش الحفصي، فعندما سقطت بغداد في يد المغول هرب العديد من القادة الاكراد الى إفريقية، ووفدوا على السلطان المستنصر وعرضوا عليه خدمتهم (برنشفيك، 1988م: ص80.). كما أن السلطان أبو زكريا قام بجلب الكثير منهم وأحسن تدريبهم وأدخلهم على دوائر الدولة بما فيها الجيش وأصبحوا يزاحمون الموحدين في ذلك (ابن خلدون، 2000: ص402).

تعدد في المصادر ذكر أسماء الموالي الذين تولوا قيادة الجيش الحفصي ومن هؤلاء المولى ظافر والذي تولي مهمة القيادة زمن السلطان المستنصر (647هـ/675هـ) ويرجح انه من أبرز قادته، فلقد تولى قيادة الجيش في العديد من المهام العسكرية (الزركشي، 1966م: ص33)، ونظرا للاعتماد الكبير عليه من قبل المستنصر أصابه هذا

المولى الغرور، وزادت تجاوزاته والتي ازعجت السلطان فغضب منه، وخاف ظافر على نفسه فهرب من بطش السلطان(الزركشي، 1966م: ص33).

وكذلك نجد من الأسماء المولى هلال والذي نال ثقة كبيرة من المستنصر فكلفه بقيادة الجيش، ولقد زاد من هذه الثقة مكيدة دبرها لسابقه المولى ظافر مع المستنصر، حتى أقصاه عن منصبه وانفرد هو بثقة السلطان (الزركشي، 1966م: ص 33). ما حدث يعكس لنا الصراع القائم بين الموالي داخل الدولة الحفصية في سبيل انفرادهم بمناصب القيادة العسكرية للجيش.

لم يكتف الموالي بمهمة القيادة فقط بل إضافة اليها وربما كنوع من كسب ود السلطان وإظهار حرصهم على امن الدولة، وربما رغبة في الاكتناز قاموا بمراقبة أصحاب المناصب الرفيعة بالدولة، كتلك التي لها علاقة بالجبايات وتحصيل الأموال وحفظها، فإذا ثبت فسادهم يتم سجنهم، ومصادرة أملاكهم، ففي زمن السلطان المستنصر قام قادة جيش الموالي بالقبض على من ثبتت عليهم تهم فساد من رجال الدولة، وذلك كما فعلوا مع ابي العباس الليانى الذي كان يتولى منصب الخطط المخزنية ومنها ديوان البحر، والذي يعتقد انه جمع منه أموال بغير حق (الزركشي، 1966م: ص36).

ولا نبالغ عند القول أن الموالي كان لهم الفضل في إخماد المؤامرات ضد بعض سلاطين الدولة والتي كان الهدف منها الإطاحة بهم، وذلك كإخماد القائد ظافر لمؤامرة ابن مهدى الهنتاتى ضد السلطان ابى عبد الله المستنصر (ابن خلدون، 2000: ص402). وفي زمن السلطان أبي البقاء خالد قام المولى ظافر الكبير بمحاربة الأمير أبي بكر الذي حاول الانفصال بحكم قسنطينة (الزركشي، 1966م: ص61).

3. أقارب السلطان

كان لأقارب السلطان دور في قيادة الجيش، وحقيقة ليس كل قريب اهل للثقة فهناك فئة منهم حاولوا تشكيل جبهة معارضة بل كانوا دائما متربصون بكرسي السلطان.

تولى هؤلاء الأقارب الثقات من جانب السلطان قيادة الجيوش في عدة مناسبات، منها عند ظهور معارضة من قريب أخر للسلطان، وذلك كما فعل السلطان الواثق الذي ثار عليه عمه أبو إسحاق ابن ابي زكريا، حيث كلف الواثق عمه الأمير ابى حفص بقيادة الجيش للقضاء عليه (الزركشي، 1966م: ص42).

وفي بعض الفترات تولى قيادة الجيش ابن السلطان، وكان عادة ما يتم هذا التكليف عندما يواجه السلطان معارضة تستهدف حكمه وتكون هذه المعارضة من طرف

خارجي، ففي زمن السلطان أبو إسحاق ظهر شخص أسمه أبو عمارة يدعى أنه من أمراء الدولة الحفصية وأنه أحق بالحكم، فكلف له السلطان ابنه الأمير ابى زكريا بقيادة جيش كبير للقضاء عليه (الزركشي، 1966م ص45) (ابن قنفذ، 1968م: ص142)

وكذلك كان في بعض الأحيان يكلف السلطان ابنه بقيادة الجيش وذلك من اجل اخضاع المدن لحكم السلطان وجباية الأموال منها وذلك كما فعل السلطان أبو إسحاق إبراهيم سنة 769هـ عندما كلف ابنه ابى البقاء خالد بقيادة الجيش من اجل اخضاع ضواحي بونة وجباية الأموال منها (الزركشي، 1966: ص103).

كما تم تكليف السلطان الحفصي لابنه بقيادة الجيش وذلك عند مواجهة اخطار خارجية كصد خطر النصارى الذين كانوا يشنون بعض غارتهم على المدن الحفصية، وذلك كما حدث زمن السلطان أبو العباس احمد في سنة 792هـ عندما كلف ابنه ابى فارس بقيادة جيش حفصي لمواجهة النصارى الذين هجموا على المهدية (الزركشي، 1966م: ص112).

4. الوزراء

كان لبعض الوزراء نفوذ داخل الدولة الحفصية، هذا النفوذ الذي ربما يكون نتاج أحد سببين أما ثقة السلطان أو ضعفه، وبالتالي نتيجة لهذا النفوذ منحوا لأنفسهم صلاحيات، وخاصة في بعض الأمور التي لها علاقة بأمن الدولة، فنجد منهم من ينصب نفسه على قيادة الجيش الحفصي، وذلك كما فعل الوزير محمد بن عبد الله بن يرزكين عندما قاد بنفسه الجيش الحفصي لوقف تمرد قبائل الكعوب الذين حاولوا تنصيب عثمان بن ابى دبوس على حكم الدولة الحفصية (الزركشي، 1966م . ص56.).

الخاتمة

في خاتمة هذه الدراسة يمكن أن نستعرض النتائج التي توصلنا إليها وذلك في النقاط الأتية:

1. ضعف دولة الموحدين كان سبب في قيام الدولة الحفصية.
2. الأخطار التي واجهتها دولة الموحدين بإفريقية في أواخر عهدها كانت سبب في بناء الجيش الحفصي.
3. أغلب تجهيزات جيش الدولة الحفصية في بدايته كانت ذات طابع موحدي.
4. في فترة وجيزة تمتد من سنة 625هـ الى 635هـ أصبح لدى الحفصيون جيش يقدم المساعدات لأهل الأندلس.

5. تركيبة الجيش الحفصي الاجتماعية هي انعكاس لتركيبة المجتمع الحفصي.
6. عناصر الجيش الحفصي كانت نتاج بقايا الجيش الموحدي أو التهجير والاسترزاق.
7. تميز الجيش الحفصي بتنوع عناصره راجع إلى المصالح المتبادلة بين السلاطين وتلك العناصر.
8. لم يتبع سلاطين الدولة الحفصية سياسة إقصاء الغير أو التعامل بالعنصرية بل كانت بلادهم مفتوحة لكل الفئات، ولهذا كانت تركيبة جيشهم الاجتماعية متنوعة.
9. لم يقتصر دور عناصر الجيش على الجانب العسكري بل امتد إلى الشؤون السياسية.
10. تنوع العناصر جعل نسبة العمليات الانقلابية العسكرية بسيطة، لأنه من الصعب توحيد كلمة تلك العناصر المتنوعة ضد السلطان.
11. تنوعت عناصر الجيش بين فئة متطوعة تقوم على الاسترزاق وقت الحاجة، وفئة نظامية تحرص على ثبات الدولة وثبات نظمها بما يكفل لها عيشها وبقائها.
12. الفئات المتطوعة مطالبها يميزها الطمع، ولكن مساهماتها كبيرة داخل الجيش.
13. توتر الأوضاع في الاندلس والمشرق كان سبب في تدفق عناصر مقاتلة داخل الدولة الحفصية ومن ثما الجيش.
14. عناصر الموحدين ظل تأثيرها ملازم للدولة الحفصية.
15. كل من يكون ولائه للسلطان ينال حظوة الدولة، ولهذا السبب نجد العديد من الشخصيات أصبح لها نفوذ وسلطة داخل الجيش الحفصي.
16. تميزت قيادة الجيش بتنوعها فلم تكن محصورة في أقارب السلطان بل بين هذا وذاك. فمن يكون همه أمن الدولة ينال ثقة السلطان يكون أهل لقيادة الجيش.
17. تحركات القادة العسكرية في مختلف نواحي الدولة دليل على وجود قبضة أمنية وخاصة ضد المعارضة الداخلية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. ابن خلدون، عبد الرحمن، (2000م) العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، ج6، دار الفكر، بيروت.
2. الزركشي، 1966م، ابي عبد الله محمد بن إبراهيم، (1966م) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماظور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2.
3. ابن الشماع، أبوعبدالله محمد بن أحمد، (1984م) الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب.
4. العمري، ابن فضل الله شهاب الدين، (2010م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، ج4، دار الكتب العربية، بيروت.
5. ابن القنفذ، أبو العباس أحمد، (1968م) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد التركي، الدار التونسية للنشر.

ثانيا: المراجع

1. برنشفيك، روبار، (1988م) تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي.
2. عامر، احمد، (1972م) الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، تونس.
3. العيد، غزالة، (2019م) مساهمة العنصر الأندلسي في الجيش الحفصي، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 3، ع 1، جوان 2019م.
4. المسعودى، جميلة مبطى، (2000م) المظاهر الحضارية في دولة بني حفص منذ قيامها سنة 661هـ وحتى سنة 893هـ، رسالة ماجستير، جامعة ام القري.
5. الوزان حسن، وصف إفريقيا، (1983م) ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي.